مراجعة لكتاب:
مهنة المحقق بالصور(*)

حبيب رمال

التلفزيون هو نافذة تطل على العالم، هذا الجهاز الذي يقدم لفرد يجلس على كرسيه المغامرات الإنسانية، المحطات التاريخية والعلمية المصورة، بواسطة رجال ونساء تحملوا عناء المسافات وخاطروا بحياتهم لكي يصوروا الحقيقة ويوثّقوها.. هذه الوسيلة الإعلامية الكونية هي الأكثر شعبية وهي مهددة دائماً من قبل السلطات لأنها تستطيع أن تخاطب وتجمع ملايين البشر في لحظات معدودة.

كثيراً ما يختلط علينا عمل الصحفي على أنه عمل «كتابة» يعتمد على التمكن من اللغة والتعبير والبلاغة، وكثيراً ما نجلس أمام شاشة التلفاز لنشاهد الأخبار ونسمعها ونقرأ عند أسفل الشاشة اسم الصحفي كاتب التقرير، لا بل جرت العادة في غرف التحرير لمحطات التلفزة على أن يصوغ المحرر الخبر ليتم فيما بعد إسقاط الصور المناسبة وغير المناسبة على النص، دون الاكتراث لكون هذه الصور هي مشاهد جديدة ام أنها مستقاة من الأرشيف، عدا على أن مقدم نشرة الأخبار يبتدأ النشرة في بلادنا بتلاوة الأخبار والمواقف دون صور.

إن ما يميز القنوات الغربية عن قنواتنا وما يرفع من رصيدها هو أنها تقوم بالعمل معكوساً، فالأخبار تقوم على أساس المشاهد المصورة، حيث يتم كتابة نصوصها على اساس هذه الصور وينحصر دور أو عمل مقدم النشرة على

الربط والتقديم الموجز والتوضيحي، مما يعطي روحاً إنسانياً على النشرة.

باختصار، إن مبدأ التلفزيون يقوم على الصورة مضافاً إليها الصوت أو النص، والمبادر الأول في هذه العملية هو «المصور الميداني»، الذي يجب أن يتمتع بكفاءة صحفية عالية، والمصور الميداني التلفزيوني «هو مهندس المرئي والمسموع، إنه الفنان المؤلف للصور، وهو أيضاً حارس تاريخ ثروة الإنسان من خلال عينه وعدسة كاميرته...

إنها مهنة مهددة دائماً، غير معروفة ومشتهاة من الكثير، فالكثير من الأماكن المحرمة والمقفلة أمام الجمهور تكون مفتوحة أمام المصور الميداني التلفزيوني.. ينتقل هذا المصور في كافة أرجاء المعمورة لتصوير الأحداث العالمية، كما أنه الوحيد الذي يرمي بنفسه في زحمة السير لتصوير مشهد المتوجهين إلى العطلة.. إنه يصور الإرث الإنساني، فيحوّل اللحظات الحالية سريعاً إلى محطات تاريخية، من خلال نظرة معينة تنقل إلى ملايين المشاهدين.

مهنة المصور الميداني التلفزيوني تحمل الكثير من الانهماك والمجازفة والسفر، حتى إلى المناطق الأكثر فقراً على الكرة الأرضية، وكذلك إلى المناطق الأكثر فخامة... فهذه المهنة تناسب عادة العازبين فقط..

يقوم اليوم الكثير من الهواة بتصوير وقائع الأحداث التي تحصل بشكل مفاجئ، يتم فيما بعد بيع هذه المشاهد إلى قنوات التلفزة فيتحول هؤلاء الهواة إلى صحفيين متعاملين مع قنواة التلفزة، وبفضل التطور التكنولوجي وظهور الكاميرات الرقمية أصبح بالإمكان الآن أن نقوم بإعداد وتصوير الفيلم الخاص بنا...

يحاول كتاب «مهنة محقق بالصور» لكوينسي روسيل، شرح هذا العالم غير المعروف «لصانعي الصور»، للصحافي المصور، فإذا كان غالبية المصورين قد خضعت لتأهيل خاص لهذه المهنة، فإن الكثير من المصورين قد جاؤوا من قطاعات عمل مختلفة، وقد اختاروا التحول إلى هذه المهنة الشيقة...

يتحدث كوينسي روسيل عن تجربة واقعية، فيلقي الضوء على كافة الأدوار والتقنيات اللازمة لأي صحفي مصور. المؤلف حائز إجازة في التصوير والإنتاج المرئي والمسموع من أكاديمية الفنون والإبداع في بريطانيا، يتمتع بتجربة غنية ومتعددة المهام، من المخرج، إلى مدير الإنتاج، إلى مدير التصوير، إلى المحقق بالصور، إلى الصحفي المحقق بالصور، وقد عمل في كافة المحطات الفرنسية وعدد من المحطات الأجنبية وشركات الإنتاج ووكالات الأنباء.. قام بالتصوير تحت الماء كذلك في الجو على ارتفاع ٦٠٠٠م، وعلى الأرض في ألاسكا، ألمانيا، الأمازون، بريطانيا،

أستراليا، بلجيكا، البرازيل، بوركينافاسو، كندا، شاطئ العاج، مصر، إسبانيا، فرنسا، هولندا، أندونيسيا، ارلندا، ايسلندا، قطاع غزة، مدغشقر، المغرب، المكسيك، منغوليا، نيبال، كاليدونيا الجديدة، نيكاراغوا، أوغندا، روسيا، الولايات المتحدة الأميركية، سويسرا، اليمن ودول أخرى.

كما حاز المؤلف ما يقارب الـ ٧٠ جائزة دولية لعمله كمحقق بالصور، كمخرج ومدير تصوير للعديد من التحقيقات والبرامج الوثائقية.

ينقسم الكتاب إلى ٤ عناوين فصول وخاتمة وملحق ومعجم خاص في ١٦٠ صفحة من الحجم الوسط (١٦سم × ٢٤سم) وصدر عن منشورات ديكسيت في باريس في شهر نوفمبر ٢٠٠٤.

يعتبر العنوان الأول «**من يقوم بماذا**» بمثابة تمهيد مهني من ٧ صفحات فيقدم تعريفات تختص بهذه المهنة مصنفة ضمن ٥ فئات، الفئة الأولى تعرف المصور، مدير الصورة أو المحقق بالصور، بدءاً من ضابط الصورة، إلى آخذ الصورة، إلى مسؤول التصوير الميداني، إلى مدير التصوير وصولاً إلى الصحفي المحقق بالصورة. وتتناول الفئة الثانية نشرة التلفزيون، الماغازين أو الوثائقي بالإضافة إلى الصورة الـ Off والريبورتاج. وتعرف الفئة الثالثة التصوير التلفزيوني والتصوير السينمائي ومتطلبات كل تصوير ميدانياً. الفئة الرابعة تعرف بالمصور الحر الذي يعمل لحسابه الخاص ولصالح مؤسسات متعددة. أما الفئة الخامسة فإنها تعرف بالتصوير المتعدد لحدث واحد المتفق عليه والذي يفرض نفسه...

العنوان الثاني أو الفصل الثاني «**يوميات الصحفي المحقق بالصور**» يتناول على ٤٠ صفحة حياة صاحب هذه المهنة الخاضعة دائماً لرنين الهاتف الذي يطلب موضوعاً معيناً، ليس هناك من استراحة، والموضوع يفرض نفسه وكل موضوع له ميزاته وخصوصياته في التصوير، الوحيد الذي يساعد في عملية التصوير هذه هو المخرج الذي يعطي التعليمات التي تسهل عملية التصوير.

ويرى الكاتب أن مقومات نجاح هذه المهنة تنحصر في ١٥ شرطاً فيحددها من خلال تجاربه ويعطي أمثلة ميدانية عايشها كالتالي:

١- الوصول في الوقت المناسب وإلا لا نستطيع الحصول على الصور...

٢- وضع الموهبة والمقدرة في خدمة المخرج أو المحرر.

٣- علاقة جيدة مع المنتج الذي نعمل معه.

٤- منح الثقة للأشخاص المستجوبين وخلق جو ثقة.

٥- التلفزيون هو ليس الراديو خصوصاً من حيث التنويع.

٦- مساعد المحقق بالصورة هو ضروري للبدء في العمل.

٧- امتلاك تعددية في الاختصاصات وإجادة المهمات التالية: الصحافي، المصور، مهندس الصوت، الإضاءة، الميكساج، حتى قيادة السيارة.

٨- التصوير أولاً.. ثم المناقشة فيما بعد (صور ثم سجل ثم تأكد، ثم دقق واختر الصور الصالحة للنشر).

٩- ضع احتمال الخيارات الميدانية الصعبة للتصوير.

١٠- قواعد اللعبة ويتناولها في النقاط التالية:

* في المؤتمرات الصحفية.
* في الميادين الطبية.
* في الميادين القضائية.
* في السجون.
* في الميادين السياسية.
* في الاستدويوهات الخاصة والمصغرة.
* في الميادين العلمية.
* في المدارس.
* تحت الماء.
* في الأراضي الخاصة.
* في العلاقة مع الشرطة والمكلفين بالانضباط.
* في المناطق الممنوعة.
* في البلاد التي تشهد صراعات وحروب؟

١١- احترام كرامة الآخرين لجهة ما نعرض وأخلاقيات ما نعرض.

١٢- المحافظة على الصحة وخصوصاً الظهر، ومياه الشرب والأكل.

١٣- إجادة عدة لغات.

١٤- الاهتمام باللقطات والحفاظ عليها.

١٥- الحفاظ على معدات التصوير.

إن الالتزام بدوام خاص لخدمة نشرة الأخبار يفرض على المحقق بالصور جهوزية دائمة متمتعاً بصحة جسدية تسمح له أن يكون مستعداً للتصوير في أية لحظة

من اليوم، لذلك من الأفضل أن يكون السكن قريباً من مكان العمل، إذ إن غرفة التحرير لن تتردد في طلبه لتصوير حدث ما مما سيضطره للانطلاق فوراً، فليس هناك من وقت حتى للاهتمام بالهندام.

إن الوصول إلى المكتب لبدء العمل في ساعة محددة لا يعني أبداً أن تحديد ساعة المغادرة ممكنٌ، لأن حصول أي حدث سيحول الكاميرا إلى وضع يشبه إلى حد بعيد وضع الاستعداد للحرب. كما أنه بالإمكان في أحوال أخرى ان تطلب غرفة الأخبار تصوير موضوع معين ومن زاوية معينة، هنا ينطلق المحقق بالصور إلى التصوير مصطحباً برنامج عمل مسبق. إن طبيعة التحضير لنشرة الأخبار قد تتطلب أيضاً تبليغ المحقق بالصور طلباً عند العاشرة صباحاً بتصوير موضوع معين لعرضه في نشرة الواحدة ظهراً، منذ هذه اللحظة، ان كل دقيقة يحسب لها حساب وعملية إدارة الوقت تصبح فناً بحد ذاته: كم من الوقت يلزم للوصول إلى الموضوع المفيد؟ كم من الوقت يستغرق التصوير؟ ما هو الوقت اللازم للمونتاج؟ ما هو الوقت اللازم للكتابة والتحرير؟ ما هو الوقت اللازم للمونتاج ومزج الصوت؟ كل هذه الاسئلة في جو يخلو من التوتر لدى كافة أفراد فريق العمل، كما أنه يجب التفكير في أخذ المشاهد اللازمة للإحاطة بكل جوانب الموضوع، التفكير في الوقت الداهم يدفع المحقق بالصور لأخذ المشاهد بطريقة معينة تسمح بالاستغناء عن المونتاج.

عندما يفكر المحقق بالصور في أن النهار قد انتهى عليه احتمال تلقّي طلب آخر من غرفة التحرير بالتحرك فوراً لتصوير حدث آخر أو موضوع مستجد، تتحول طاولة الطعام هنا إلى سندويش سريع يلتهم خلال مرحلة الانتقال.

يختلف الموضوع كثيراً للمحقق بالصور عندما يعمل على تصوير فيلم وثائقي، إذ إن برنامج العمل يوضع مسبقاً، وهذا ما يسمح له بالتهيؤ وتحضير كل ما يلزم، إضافة إلى أن الاجتماع بالمخرج يؤثر إيجاباً على عمله لناحية النجاح في أخذ المشاهد مستخدماً كل المعدات اللازمة لذلك دون أن يعني ذلك أن الأيام تتشابه.

العنوان الثالث للفصل الثالث يقدم «**التطبيق العملي**» وشروط نجاحه على ٤٠ صفحة وفي ١٥ بنداً مرتبة وفقاً للتالي:

١- معرفة معدات التصوير.

٢- اختيار نوعية الكاميرا.

٣- تأليف الصورة.

٤- تعريف الكاسيت والوقت والمصطلح.

٥- التحكم بمصدر الطاقة.

٦- أهمية دور منظار الكاميرا.

٧- ثبات الصورة.

٨- حركة الكاميرا.

٩- الإضاءة ودورها في جو الصورة.

١٠- الإلمام بمهنة الكهربائي.

١١- نوعية الصوت وطريقة أخذه.

١٢- تحضير وتجهيز المعدات وتحضير مواد السفر.

١٣- المستلزمات الإضافية للسفر.

١٤- طريقة ونوعية اللباس.

١٥- الاتصالات الهاتفية وكيفية إجرائها من الخارج.

التصوير يكلف غالياً، لأنه علينا الأخذ بالحسبان كلفة التنقلات وكلفة استثمار المعدات، وأجرة العاملين، وكلفة التأمين، بالإضافة إلى كلفة شراء الكاميرا،... كل ذلك يعزز من قيمة فعالية فريق التصوير ونجاح المشاهد، إذ إن كل دقيقة تصوير تصبح ذات قيمة مختلفة. من هنا فإنه من الضروري أن يلم كل فرد من فريق العمل المواكب للمحقق بالصور إلماماً جيداً بالمعدات لأن ذلك من شأنه طبعاً تسهيل مهمته كما أن الاستخدام الأسهل يوفر الكثير من الوقت.

يتناول الفصل الثاني موضوع المحقق بالصور بما يشبه التوجيه التقني باتجاهين، الاتجاه الاول يتعلق بالمعدات وتقنية إدارة واستخدام هذه المعدات بشكل أفضل، من استخدام الكاميرا إلى الاهتمام بالصوت والكهرباء والجوانب الميكانيكية لبعض هذه المعدات، أما الاتجاه الثاني فإنه يتعلق بكل التفاصيل اللوجيستية التي تسبق عملية التصوير، من العملية الإدارية، إلى معاملات السفر والجمارك وطرق الدفع وإجادة التخاطب بلغات مختلفة، إلى طريقة اللباس والاتصالات الهاتفية.

إن ما يعيب الفصل الثالث فعلاً، هو غياب الصور الإيضاحية، خصوصاً أن يتحدث عن تقنيات وتنوع بالتجهيزات، وسرد الأمثلة هو جيد جداً لكنه يصبح ممتازاً فيما لو كان مدعماً بالصور لهذه التقنيات والتجهيزات.

العنوان الرابع للفصل الرابع «الأخطاء الواجب تجنبها» (على ١٢ صفحة) يقدم النصح لتجنب الأخطاء التي يمكن أن تحصل على قاعدة أن الشخص الذي لا يرتكب

أخطاء هو شخص لا يعمل. الهدف الواضح من هذا الفصل هو عرض للمشاكل التي تعرّض لها الكاتب خلال تجربته الغنية عالمياً، لأنه يفتخر بها كثيراً ويعتقد أنها تخدم مهنة التصوير.

إن ما يميز هذا الفصل عن غيره، هو أنه يروي تجارب وأخطاء مصنفة في عشرين بنداً، وكل بند منها يحتوي على خلاصة بشكل نصيحة وذلك وفقاً للترتيب التالي:

١- الاهتمام بأخذ الصوت حتى لو تطلب ذلك القيام بدور مهندس الصوت.
٢- ما يجب فعله عندما يكون مهندس الصوت لا يعرف معداته جيداً.
٣- ما يجب عمله عندما تتم معالجة أحد الزملاء بالمستشفى.
٤- الاهتمام بالصحة والمحافظة على طاقتنا.
٥- مراقبة نوعية وقوة الكهرباء التي نستعمل.
٦- ما يجب فعله عندما تقع المشكلات الفنية كلها على المصور.
٧- ما يجب فعله عندما يكون الجو رطباً كثيراً.
٨- ما يجب فعله عندما لا تصل المعدات بأكملها خلال السفر.
٩- ما يجب فعله عندما لا تصل معدات الصوت.
١٠- حمل الصابون والملح دائماً عند السفر إلى بعض الأماكن.
١١- ما يجب فعله في الفندق.
١٢- ما يجب فعله عندما يحصل حادث ما للمعدات أثناء التصوير.
١٣- ما يجب فعله عندما يحصل خلاف ما مع المؤسسة التي نعمل معها.
١٤- ما يجب فعله عندما تفلس المؤسسة التي نعمل معها.
١٥- ما يجب فعله عندما لا نحصل على نقود في الخارج من الموزع الأوتوماتيكي.
١٦- ما يجب فعله عندما تضيع البطاقة المصرفية الأوتوماتيكية.
١٧- ما يجب فعله عندما نصاب بميكروب معين.
١٨- ما يجب فعله عندما يعزف شخص ما عن المشاركة في التصوير.
١٩- الانتباه عند التصوير لجهة المسافات والتحرك.
٢٠- ما يجب فعله عندما يتعرض صاحب المقابلة لخطب قبل التصوير بوقت قليل.

يختم الكاتب إلى خلاصة مفادها أن المخرجين الناجحين يقولون بأن المصور الناجح هو الذي يجيد ويتقن التقطيع الفني والمونتاج، لأنه بهذه الطريقة يضع في رأسه سيناريو اللقطات بشكل يسهل عمل المونتاج فيما بعد...

كما يختم إلى أن هذه المهنة هي في تطور تكنولوجي مستمر، فالكاميرا تصغر وتخف شيئاً فشيئاً والكاسيت إلى زوال بعد ظهور الكاميرا الرقمية، ويعتقد أن المحرر سيصبح بإمكانه متابعة عمل المصور من مكتبة الموجود في الجهة الأخرى للأرض بواسطة جهاز صغير يضعه على أذنه ولربما أيضاً الحصول على اللقطات مباشرة على حاسوبه في المكتب.

ويرى كوينسي أن التسامح هو من ميزات هذه المهنة، ويجب التوصل إلى صيغة تفاهم مع كل المتدخلين في عملية التصوير وإقامة علاقات ممتازة معهم خصوصاً مع المنافسين لنا في هذا المضمار وكل من يمر أمام عدسة الكاميرا لحظة التصوير.

٤٦ صفحة تشكل ملحق الكتاب وتتحدث عن الإطار القانوني لهذه المهنة، حقوق المحقق بالصور، نماذج عن الاتفاقيات بين المحقق بالصور والطرف الآخر الذي يعمل له، أسماء وعناوين المؤسسات التي تخدم بشكل أو بآخر المحقق بالصور، ومعجماً للمصطلحات المهنية.

إن ما يميز هذا الكتاب عن غيره هو أنه يتحدث بلغة التجربة لمصور عاش تجارب كافية جعلته محترفاً من الدرجة الأولى... وهو يمزج بين المعطيات المهنية والأمثلة والتجارب التي مر بها والتي تدعم الكلام المهني.

قارئ الفصل الأول التمهيدي لهذا الكتاب لا بد له من أن يصل إلى فهم المفردات والمصطلحات والأمور المهنية قبل أن يغوص في تفاصيل هذه المهنة الشيقة والمبدعة، لكن ما غاب عن الكاتب هو الدخول في التعريفات الفنية والتقنية لآلة التصوير وطريقة عملها لكي يكتمل حقل المعرفة الذي يقدمه، ولربما انطلق من فرضية أن القارئ أو المستفيد يلم إلماماً تقنياً كافياً لفهم ما يقدمه له.

يضبط الفصل الثاني التفاصيل الدقيقة ليوم المحقق بالصورة، فيفصل لنا هذه اليومية كوحدة مهنية لها دور مهم في حياة الشاشة دون أن يصورها كوحدة زمنية، ويقوم هذا الضبط على تقديم نصائح لكل التفاصيل والعوامل التي تدخل في كل جوانب ويوميات المصور من اللحظة التي يستيقظ خلالها وحتى إغفال جفنيه آخر الليل، مروراً بالاتفاقية الأولى للقيام بعمل ما، وكيفية التصرف مع فريق العمل المساعد كذلك مع الطرف الآخر موضوع التصوير، مع التركيز على قاعدة اللعبة في شتى الاحتمالات والمواقع، وأهمية المقومات والمهارات الشخصية المكتسبة للمحقق بالصور ودوره المبدع في معادلة الشاشة.

يركز الفصل الثالث على الناحية المهنية العملية الصرفة، فيذكر المحقق بالصور بمثاليات التصرف فنياً أو بطريقة أخرى يقدم مدعماً بالأمثلة الطريقة الأنجح في استخدام التقنيات الحديثة للوصول إلى صورة أفضل وموضوع أفضل على الشاشة.

لا يترك الكاتب أي تفعيل فني دون التعرض له بشكل متسلسل ومنطقي من أجل النصح بأداء أفضل لهذه الصناعة والتقنية المتعددة الأطراف والمشاركين فيها، دون أن ينسى المنبه الزمني الذي يوقظ في الصباح وطريقة اللباس وكيفية التصرف مع كافة المجتمعات.

الفصل الأخير بعنوان «الأخطاء التي يجب تجنبها»، يتناول الأمور الواجب القيام بها في ظروف جغرافية، مناخية، اجتماعية مختلفة، وهو يقدم نصائح حول كل التفاصيل والأخطاء التي يمكن أن تعيق قيام المحقق بالصور بعمله بصورة ناجحة.

يسلط هذا الكتاب بأسلوب سردي ناجح الضوء على الدور المهم الذي يضطلع به المحقق بالصور في العمل التلفزيوني كما يعتبر بمثابة توجيه أصح من صاحب تجربة ناجحة، على صيغة دليل عملي مدعم بالأمثلة وهذا ما يبدو واضحاً من خلال مضمون الملاحق المعتمدة واختيارها من قبل الكاتب.

المضمون المهني الرئيسي يقع في ٨٠ صفحة موزعة بالتساوي بين الفصلين الثاني والثالث مع الإشارة إلى ما يشوب هذا الكتاب من نقص للصورة الفوتوغرافية الداعمة والتي اقتصرت على ١٠ صور فقط، لكن الاعتماد على الامثلة الداعمة لكل نقطة عولجت في هذا الكتاب، يضعنا في قالب التفكير في الحياة العملية الحقيقية مما يزيد من مصداقية الكاتب.

بالنتيجة، إنه كتاب نصح، لعمل أفضل في ميدان المرئي والمسموع.

* **مهنة المحقق بالصور Profession reporter d'image**

مؤلف الكتاب: موينسي روسيل Quincy Russel

دار النشر: ديسكيت ـ باريس ـ فرنسا Dixit Editions - Paris -France

عدد الصفحات: ١٦٠ صفحة

الحجم: ١٦ سم × ٢٤ سم

تاريخ الإصدار الأول: تشرين الثاني ٢٠٠٤